بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه الكريم

لقد أرسل الله الى الناس رسلا يهدونهم إلى الصراط المستقيم والدين القويم وختمهم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبلغ الرسالة أحسن ما يكون البلاغ وأدى الأمانة أحسن ما يكون الأداء، ثم حمل الأمانة بعده رجال اصطفاهم الله واختارهم ليبلغوا دينه وليكونوا ورثة نبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم، وظلت هذه السلسة تتواصل إلى يومنا هذا وإلى ان يشاء الله... وإذا كان كل شيء يشرف بمتعلقه فإن وظيفة العلم تصدر عن اختيار رباني ووراثة للنبوءة الخاتمة وذلك لقول صاحبها (إن العلماء ورثة الأنبياء) ولهذا استحق العلم هذ الشرف المجيد واستحق المهتمون به تكريما خاصا.

ومن هنا يجب الاهتمام بسير وتراجم العلماء العاملين والدعاة المهتدين والوقوف على جهودهم، ولا مراء في أن ذكر العلماء وسيرهم يشحذ الهمة ويقوي العزيمة لأن النفس الإنسانية تميل الى المحاكاة قال تعالى:(وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك). لذلك اخترنا ان يكون عنوان هذه الندوة المباركة:

الشيخ محمد اليدالي ونتاجه الفكري – قراءة في التراث الموريتاني –

إنه محمد بن المختار بن محمد سعيد بن المختار اليدالي نسبة الى قبيلة ايدوداي التي تنتمي الى حلف تشمشه المعروف وهو يتكون من: ايديقب واهل باركلل واجاجغفه وايدكبهني وايدوداي واولاد مهنض امغر.

ولد الشيخ محمد اليدالي عام 1096 هجرية (1684 ميلادية) أي بعد عقد من الزمن على انتهاء شربب شرقي بئر تندكسمّ، وتوفي عام 1166 هجرية (1754 ميلادية) المعروف بعام وقعة غيلان ودفن بمقبرة انتوفكت

الشيخ محمد اليدالي يعد أحد أربعة لم يبلغ أحد في العلم مبلغهم في هذ القطر شنقيط كما يقول احمد بن الأمين، ألف في التفسير، والتاريخ،

والتوحيد، والحديث، والفقه، والأصول، والسيرة النبوية، وأنساب العرب وتاريخها، والعلوم الاجتماعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلم السلوك (التصوف) والأخلاق، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والحساب، وعلم الهيئة... وغيرها وجمع بين المعقول والمنقول.

تلقى مبادئ تعلميه الأولى في بيت اهله وقرأ القرآن على شيخه اجفغ ابي محمد عبد الله بن عمر التونكلي كما اخذ عن اشياخ آخرين مثل الشريف اجفغ ميننحن بن مودي مالك واحمذو بن اجفغ المختار بابو والمختار بن اجفغ موسي ومحمد بن محمد بن القاضي الشنقيطي وصفه بكلمة شيخي وعبد الله بن محمذن بن عمر اليدمسي ومحمد بن موسي بن ايجل الزيدي التشيتي الذي اخذ عنه المشابكه.

تميز الشيخ محمد اليدالي بموهبة نادرة وذكاء خارق كان له أثر كبير في تعلميه قبل كل شيء وقد غذى هذه الموهبة وهذ الذكاء بهمة عالية لا تلين ولا تقف عند حد وهذ ما جعل بعض الباحثين يصفه بانه رجل عصامي (علم نفسه بنفسه) ويعتبر الشيخ محمد اليدالي شخصية علمية فذة جمعت معارف متنوعة شملت مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية، فهو شاعر مفلق وناقد لامع يحترم الجميع رايه ويعترفون له بالإمامة والسبق في هذ الميدان وكان اغلب أغراض شعره المديحيات والابتهالات وما شاكلها وقد ترك ديوانا شعريا يناهز الف وست مائة بيت وهو مطبوع.

كما انه فقيه بارز له فتاوى وشروح فقهيه شملت عددا من المواضيع وهو إضافة الى ذلك اصولي بارز وله تآليف في هذ المجال مشهورة كما يعتبر من أوائل مؤسسي الصوفية الشنقيطية.

يقول الأستاذ والباحث محمذن ولد باباه -اطال الله بقاءه -: (والحقيقة التي لا غبار عليها انه ما من باحث يتناول التراث الموريتاني، أي نوع من انواعه، إلا وجد نفسه مضطرا الى الرجوع الى مؤلفات الشيخ محمد اليدالي فاذا به

يكتب عن حياته وخوارقه وآثاره الأدبية والعلمية وتجاربه في التصوف واخلاقه الحميدة)

يقول العلامة النابغة الغلاوي : كان عالما ثبتا لينا عارفا بالله صوفيا رفيقا بالخلق كثير العفو محبا للخمول ...حسن الخلق والخلق، أبيض اللون، قوي الساعدين، معتدل القامة، لا طويلا، ولا قصيرا وكان لا يغيب بصره في وجه أحد أدبا منه وقد غلب عليه التصوف والحلم وحب النبي صلى الله عليه وسلم وكان مطبوعا على العمل لا يمل منه وكان يقرأ دلائل الخيرات سبعين مرة في أسرع وقت، ويختم القرآن في ركعتين وقد عرف بسرعة مطالعته للخزائن، وقيل انه ألف في سن مبكرة من عمره.

يعتبر محمد اليدالي من اجل من دخل القلبة علما وصلاحا وورعا وانفة وهمة وتحملاً للمشاق وصبرا على اصلاح ما أفسد الناس، وسعيا الى مكارم الاخلاق ومعالي الأمور، وبعدا عن سفاسفها مما اكسبه صلاة ثقافية واجتماعيه وثيقة مع جل معاصريه من امراء وعلماء واعيان.

ونذكر منها هنا على سبيل المثال لا الحصر علاقته بالأمير البركني احمد بن هيبه بن نغماش المتوفي سنة 1175هجرية الموافق 1761ميلادية حيث يمدحه بقصيدة مطلعها:

فضت حكمة الجبار بالفتح والنصر ... لأولاد ام العزّ بالعز والظفر
من اختصهم رب الورى بين مغفرٍ ... ببذل الندى والعدل والحلم والصبر
فواضلهم للمسلمين كثيرة ... اياديهم فاقت يد العدّ والحصري
وعدلهم عمّ الزوايا باسرها ... واهل البوادي والقرى وذوي المصري
وراعوا حقوق الله من كل مسلمٍ ... غريبٍ ومسكينٍ ضعيفٍ ومضطرِ
هم العرب العرباء من سرِ هاشم ... صميم قريشٍ منتمون الى فهرِ

إلى أن يقول:

واحمدُ منهم فاز بالمجد والعلا ... على رغم انف الحاسدين ذوي المكرِ
رحيم بأرباب الهداية والتقوى ... شديد على اهل الغواية والكفر
من أصبح تاجاً فوق هام العلى ومن ... غدى غُرّة زِنت بها دُهمةُ الدهري

كما نسج علاقات مميزة مع زميله في الدراسة وصديقه العلامة سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي المعروف بابن رازكه حيث تبادلا بعض المساجلات الشعرية، نورد هنا مقطعا من قصيدة الشيخ محمد اليدالي التي يمدح بها ابن رازكه خصوصا والعلويين عموما والتي مطلعها:

براعــة استــهلال بدر البها والجمال
إعارة الجفن دمــع ينهل والجمر بالي
ضدان كانا بجمسي فذاك عينُ المحال

الى أن يقول:

عبد الإله الاديب الـــصدر العريق الاثالِ
صدر الافاضل غوث الـــعباد بدر الكمال
سعد الزمان كريم الـــــنّثا سنيّ الخصال
فحر الانام جمال الإ سلام حلو الشمال

ويقول في مدح العلويين قومه:

من معشر في الورى قد حازوا شعار الجلال
ذوي نهى ووجـــــوهٍ غُر وايدٍ طـــوال
ذوي حروف ثـــــلاثٍ ميم وجـــيم ودال
ذُمر ســـــراة كرام شم الانوف أعالي
نالوا العلا والـــمزايا والعز غير عجال

وكان الشيخ محمد اليدالي يفتخر ويعتزُّ بأخواله بني ديمان حيث كثُر مدحهم وذكرهم والفخر بهم في شعره فيقول في قصيدته التي مطلعها:

سقى ربوعك يا كثبان اوادي مدى الدهارير مزن رائح غادِ
وما بقربك من أيكٍ ومن شجرٍ وما حواليك من رملٍ من وادِ

الى ان يقول:

الحي حي بني ديمان حولك يا أوادي ناهيـــك من حي ومن وادِ
من معشر غرر افاضل نجب هم في الزوايا حلي الصدر والهادِ
والناصرو كل مظلوم ومـــكتئبٍ والسادة الموصلو فعلا باوعادِ
والوارثو العز والمجد الصميم عنَ آباء كـــــرامٍ وآباء عن اجدادِ
والقائمو في العلا ما لا يـــقوم به ماء الفرات ولا أمـــوال بغدادِ

ويقول أيضا في مدح أبناء باركلل فيه بن يعقوب بن ديمان:

عليكم سلام الله ما ألـــتذّ عارفُ بتسبيحة أو طاف بالبيت طـائف
الا إن أبناء باركـــــلل فيه سا دة قادة غر كرام غـــــطارف
بعيد مداهم في الزوايا وقدرهم ولكن قريب جودهم والعوارف
سيرتهم بذل الندى وشعارهـــم واموالهم في المكرومات توالف

كما نسج علاقات حميمة مع قبيلة البوصاديين (ايديبوسات) الذين مكث معهم سنوات يدرسهم بالاحترام والتقدير ومدحهم بقطعة منها:

بوصادُ أنصار خير الخلق قاطبة أكرم بالأنصار من حي ومن نادِ
يكفيك انهم أنصار سيـدنا اقـــــــــتفاء آثاره بالوسمي بالصّـــــادِ

كما كانت له علاقة صداقة واخوة مع الشريف الصديق بن سيدي يعرف الذي مدحه بقطعة مضمنة في الرسالة التي أرسل بها اليه ومطلع القطعة:

إلى ابن الولي سيِّدي يُعرف الأسنى الذي بالندى يعرف
الى ابن النبي الرسول الذي هو الملك الامجد الاشرف
سلام شـــــذى مسكه فائح وأنواع ما طاب والزخرف

فهذه نماذج من علاقته ببعض امراء وعلماء واعيان زمانه دونها لنا في مؤلفاته شعراً ونثراً.

تجدر الإشارة الي ان الشيخ محمد اليدالي تطرق في ثنايا مؤلفاته الي موضوعين لم يكونا متداولين في تلك الفترة، اولاهما حديثه في كتاب خاتمة التصوف عن نظريات في علم التربية وعلم النفس كالعلاقة بين المعلم والمتعلم ومعروف انه في زمنه لم تكن المدراس النظامية قد عرفت لا في بلادنا ولا في غرب افريقيا بشكل اعم، اما الثانية فهي حديثه في كاتبه رسالة اللعفة عن ما عاد يعرف اليوم في علوم القانون بحقوق الملكية الفكرية و من المعروف انه في الفترة التي عاش فيها الشيخ محمد اليدالي لم تكن الدولة المدنية الحديثة معروفة مما يدل ان تفكيره كان يسبق زمانه بأشواط.

واسمحوا لي ان اكتفي بهذه النبذة الموجزة من حياة الشّيخ محمد اليدالي تاركا المجال للترجمة الاوسع والاشمل التي سيقدمها العلماء والباحثون.

السادة الحضور

إن العناية بآثار السلف وما خلفوه من تراث ثمين امر ليس بالسهل، فظاهرة الحياة البدوية المتسمة بالاضطراب وشظف العيش وعدم الاستقرار والسعي وراء الكلأ والماء كلها عوامل تأثر سلبا على التأليف والتحصيل والنقل...، وقد صوّر لنا الشيخ محمد اليدالي في مقدمة كاتبه فرائد الفوائد جانبا من هذه الظروف الصعبة حيث يقول (وعذري فيه أنني جمعته في تيرس أجول في أكنافها وأهيم مع أهلها يمنة ويسرة في جوفها واطرافها، والقلم غير مساعفٍ والهم مبثوث ولا مداد إلا مداد صبيان المكتب والطرثوث ولا جمع غالباً إلا بالليل لاستغراق النهار بالترحال الحثيث) ويقول أيضا في مقدمة كتابه الذهب الابريز (وعذري فيه أنني اختطفته من بين اساود الهموم واسود الاهوال مع تشويش الخاطر وشغل البال وتوالى العوائق الرائحة الغادية وترادف الاسفار وجولان البادية وفكرتي قد استولى عليها عوائق الفتور وخطرتي قد شغلها علائق القصور، هذا مع عجزي عن النسخ ولا يمكن ان ينوبني غيري فيه وقلة تخلُّف الوافدين علي عني وكثرة تشويشهم بحيث لا اتفرغ ساعة).

ورغم هذا الواقع الذي ذكرنا فقد ازدهرت مهنة النقل وتبارى الناس يستنسخون الكتب بعناية خاصة من رجال الدين وقادة المجتمع إلى ان وصل إلينا.

ومنذ إنشاءها عكفت زاوية الشيخ محمد اليدالي على جمع ونسخ وتحقيق ومقابلة كل ما يمكن الحصول عليه مما سطرت يد الشيخ محمد اليدالي وكذلك إضافة إلى المؤلفات والانظام المتعلقة بمؤلفاته.

وقد مرّ تحصيل هذه الكتب وجمعها بالمراحل التالية:

اولا: مرحلة الحصول على المؤلفات لجمعها وكتابتها من جديد، وقد وجدت بمختلف انواعها وتم نسخها على مراحل مختلفة من طرف السيد الراجل ولد احمدسالم الامين العام للزاوية، ومن بين المكتبات التي وجدت فيها هذه الكتب:

أ- مكتبة اهل زين العابدين (حفدة المؤلف) وخاصة مكتبة محمدعالي ولد زين العابدين.

ب- مكتبة اهل سيدي الفالي بن ابي وخاصة مكتبة اهل اواه التي توجد فيها النسخة الوحيدة من الذهب الابريز التي بخط المؤلف، وكذلك وجدت بعض مؤلفاته في مكتبة اهل اجدود.

ج- مكتبة اهل حامي

ثانيا: مرحلة التصحيح والتحقيق وقد بدأ العمل فيها سنة 1982 قبل إنشاء الزاوية وما يزال العمل فيها جاريا، وقد تم تصحيح وتحقيق معظمها.

فجمعت من مؤلفاته ما يزيد على 30 مؤلفا ما بين كبير ومتوسط وصغير الحجم لكن اغلبيتها مازالت مخطوطة.

ومن مؤلفاته التي طبعت ما يلي:

- شيم الزوايا، أمر الولي ناصر الدين، رسالة النصيحة و رسالة اللفعه قد تمت طباعتهم من طرف الاستاذ : محمذن ولد باباه.

- الجزء الاول من خاتمة التصوف والوسيلة الكبرى وقد تمت طباعتها من طرف السيد : محمد سعيد ولد الشيباني.
- الذهب الابريز في تفسير كتاب الله العزيز طبع على نفقة القاضي: الشيخ احمد ابو المعالي ولد احمدو ولد حمينّ.
- المربي على صلاة ربي طبع من طرف الاستاذ: اواه ولد محمد لمين.
- الديوان طبع من طرف الاستاذ: الامير ولد آكاه.

كما يوجد من هذه المؤلفات مرقونا ومحققا:

- خاتمة التصوف الجزء الثاني
- حلة السيرا في انساب العرب وسيرة خير الورى
- الفتاوى
- رسالة اللفعة
- فرائد الفوائد

هذا ولا يمكن باي حال من الاحوال أن يمرّ ذكر زاوية الشيخ محمد اليدالي دون ذكر السفير التجاني ولد محمد الكريم اليدالي الذي بذل جهودا مادية ومعنوية من اجل الزاوية.

كما جمعت الزاوية أيضا اغلبية المؤلفات والانظام والتعاليق التي كُتبت حول مؤلفات الشيخ محمد اليدالي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- نظم الشيخ احمدو بمب لخاتمة التصوف، وهو نظم طويل في حدود 1700.
- نظم العلامة المختار ولد جكني اليدالي لخاتمة التصوف ايضا
- نظم العلامة الشفيع ولد المحبوبي لخاتمة التصوف ايضا.
- نظم العلامة اباه ولد محمد الامين لخاتمة التصوف ايضا.
- تعليق العلامة محمذفال ولد متالي عليها، وقال: انها فرض عين في التصوف.
- اختصار فرائد الفوائد لحفيد المؤلف محمذفال ولد المختارسعيد ولد محمد اليدالي.

- نظم عقيدة الشيخ محمد اليدالي للشيخ احمدو بمب.
- العلامة المختار ولد جكني اليدالي لعقيدة الشيخ محمد اليدالي.
- مجموعة انظام في بعض الفوائد مأخوذة من فرائض الفوائد والذهب وخاتمة التصوف وغيرها من مؤلفاته، لأحمد ولد اجّمد واخيه زين وغيرهما.
- نظم شيم الزوايا للعلامة المختار ولد جكني اليدالي.
- نظم امر الولي ناصر الدين الابهمي للعلامة المختار ولد جكني اليدالي.
- شرح قصيدة الهمزية لأحمد زين ولد محمذن ولد عبيدي الابهمي.
- شرح النابغة الغلاوي للقصيدة المعروفة * إن همي* للشيخ محمد اليدالي.
- السند العالي في مناقب اليدالي للنابغة الغلاوي.

كما حصلت ايضاً على 40 مرجعا من المراجع المخطوطة التي يعزي لها الشيخ محمد اليدالي في كتاباته.